

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٧٢٤ : خ١ - سورة الشرح ، خ٢ - اللbin : آية من آيات الله.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٩-١١-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

بسم الله نحمده، ونستعين به، ونسترشد، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر. وأشهد أنَّ سيدنا محمداً صلَّى الله عليه وسلم رسول الله سيدُ الخلق والبشر، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبرِه. اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنَه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

المؤمن كلما علت مرتبته اتسعت رقة اهتمامه :

أيها الأخوة الكرام... لا زلنا في وقفاتٍ متأنية عند سور القصيرة التي كثيرة ما يرددوها المسلمون في صلواتهم، سورة اليوم سورة الشرح:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

[سورة الشرح : ٨-١]

أيها الأخوة الكرام... هناك وحدة في الكون، فالقوانين النفسية تُقابلها قوانين مادية، فأنت كلما ارتفعت عن سطح الأرض، اتسعت دائرة رؤيتك، فالذي يجلس في الطابق الرابع يرى ما لا يراه من كان في الطابق الأول، والذي يصعد إلى قمة جبل قاسيون يرى الشام بأكملها، بكل أحياها وفروعها، والذي يركب الطائرة يرى رُقعةً تزيد عن أربعين كيلو متر، والذي يصعد إلى القمر يرى الأرض بأكملها؛ بمحيباتها وقاراتها، فكلما ارتفع الإنسان اتسعت دائرة رؤيته، وكلما ارتفع الإنسان في سُلُّمِ الإيمان اتسعت دائرة اهتماماته، فالمؤمن يحمل هموم المؤمنين بقدر مرتبته، وكلما علت مرتبته اتسعت رقة اهتمامه، إن أرحمُ الخلق بالخلق قاطبةً هو سيدُ الخلق.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

[سورة التوبه : ١٢٨]

أما أهل الدنيا، أما الكفار، فلا يهتمون إلا بأنفسهم، لا يهتمون إلا بمصالحهم، لا يهتمون إلا بدخلهم، لا يهتمون إلا بمدى استمتاعهم في متع الحياة، بل إن شرًا من هؤلاء من يبنون مجدهم

على أنقاض الآخرين، يبنون عزهم على ذل الآخرين، يبنون غناهم على فقر الآخرين، يبنون حياتهم على موت الآخرين، وما يجري في العالم اليوم من عداون على الشعوب الآمنة، ومن سيطرة على ثرواتها، لأكبر دليل على ذلك..

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

[سورة الماعون : ١]

و نفسه:

﴿فَذِلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَمَ﴾

[سورة الماعون : ٢]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

كما أنك إذا ارتقيت في سلم الارتفاع المادي تتسع دائرة رؤيتك، كذلك إذا ارتقيت في سلم الإيمان تتسع دائرة اهتمامك.

العلاقة الترابطية بين الرحمة والإيمان :

أيها الأخوة الكرام... من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، المسلم الحق يحمل هموم المسلمين، لا يحملها عاطفياً كما يفعل بعض المسلمين اليوم، يتعاطفون؛ تعاطف حديث، تعاطف بث موadge، لا يتعاطفون بأموالهم، ولا يتعاطفون بجهدهم، ولا يتعاطفون بخبراتهم، يؤثرون السلامة ويعطافون في مجالسهم مع المسلمين.

أيها الأخوة الكرام... النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق، وحبيب الحق، وكلما ازداد اتصال الإنسان بالله، امتلاً قلبه بالرحمة، وكان هناك علاقة ترابطية بين الرحمة وبين الإيمان، بقدر اتصالك بالله، يمتلي قلبك رحمة تجاه الخلق، فإذا كان سيد الخلق هو أشدهم اتصالاً بالله عز وجل، إذاً هو أشدُّهم رحمةً بالخلق، قال تعالى:

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾

[سورة الكهف: ٥٨]

وقال تعالى:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَتَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَাوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

إذاً بسبب رحمة استقرت في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عن طريق اتصاله بالله عز وجل الشديد؛ امتلاً قلبه رحمة، فانعكست هذه الرحمة علينا، فكان من أثر هذا اللين التلاف الناس حوله، ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ مهداً، وهذا الإنسان الذي هو قيمة البشر في رحمته، قبل أن تأتيه الرسالة نظر إلى من حوله، فإذا هم في ضياع فكري، إذا هم في شركٍ ما

بعد شرك، إذا هم في انحرافٍ ما بعده انحراف، إذا هم في سقوطٍ ما بعده سقوطٍ، يأكلون الربا أضعافاً مضاعفة، يغرقون في الخمر، يبيحون لأنفسهم كل ألوان السقوط الجنسي، هذا كان حال العرب قبل الإسلام.

كان النبي عليه الصلاة والسلام يمتئأ الماء، يمتئ حزناً على مصير من حوله، من هؤلاء الشاردين الضالين المنحرفين، فلما جاءته البعثة وعلم أنه نبىٰ مرسلاً لهذه الأمة المنحرفة، كان يحار ماذا يفعل؟ ماذا يقول لهم؟ كيف يهديهم؟ فلما جاءته البعثة، وجاءته الرسالة، وحملَّ أمانة التكليف انشرح صدره، قال تعالى:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : ١]

أيها الأخوة الكرام... حينما جاءته رسالة السماء، دعوه السيدة خديجة لأخذ قسطٍ من الراحة فقال لها: انقضى عهد النوم يا خديجة ، قال:

((لَقَدْ أُوذِيَتِ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذِي أَحَدٌ وَلَقَدْ أَخْفَتِ فِي اللَّهِ وَمَا يَخْفَ أَحَدٌ وَلَقَدْ أَتَتِ عَلَىٰ ثَلَاثَةٍ
مِّنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَالِي طَعَامٌ إِلَّا مَا وَارَاهُ إِبْطَ بَلَالٌ))

[الترمذى عن أنس بن مالك]

تكاليف النبي الكريم بالرسالة شرح صدره :

أيها الأخوة الكرام:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : ١]

هذه الهمزة اسمها همزة الاستفهام الإنكارى، لو أن أحداً سألك: أفعلت هذا؟ مستفهمًا. تقول: أنا فعلته؟ منكراً، أنا فعلته؟ مُنكراً، فهذه الهمزة همزة الاستفهام الإنكارى، أي نفي، همزة النفي الإنكارى، فإذا دخلت على نفي آخر صار إثباتاً، فنبي النفي إثبات.

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : ١]

أي لقد شرحا لك صدرك، بينما كلفناك بالرسالة.

الأنبياء والمرسلون همهم الأكبر هداية الخلق :

أيها الأخوة الكرام:

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعَنَا عَنْكَ وَزْرَكَ ﴾

[سورة الشرح : ٢-١]

الوزر هو الحمل، قال تعالى:

﴿وَلَا تَرِدُ وَازْرَةُ وِزْرَ أَخْرَى﴾

[سورة الأنعام: ١٦٤]

أضرب لكم بعض الأمثلة: لو أن رُبَّان طائرة اكتشف خللاً في الطائرة، وسوف يتفاهم هذه الخلل، وفي الطائرة ستمئة راكب، بماذا يشعر قائد الطائرة مثلاً؟ لو أن ربان سفينة شعر أن سفينته على وشك الغرق، وأن فيها آلاف الركاب، بماذا يشعر؟ لو أن تاجراً - هذه كلها أمثلة مادية من واقع الحياة - توقفت مبيعاته وعليه التزامات للشركات، ماذا يفعل؟ كيف يدفع؟ كيف يُعطي ديونه؟ لو أن إنساناً يعاني من مشكلة في بيته، وهذه المشكلة تتفاهم؛ ينام بهم ويقوم بهم، هذا الوزر. قل لي ما الذي يهمك أقل لك من أنت، هل يهمك دخلك فقط؟ هل تهمك صحتك فقط؟ هل تهمك أسرتك فقط؟ هل يهمك أمر استمتاعك بمحاجة الدنيا فقط؟ أم أن الإنسان الراقى يشعر أنه يحمل رسالة عليه أن يؤديها، يشعر أنه خلق لعمل صالح يرجو أن يمكّنه الله منه، قل ما الذي يقلقك؟ ما الذي يهمك؟ ما الذي يزعجك؟ ما الذي يؤرقك في الليل؟ أقل لك من أنت.

هناك من يؤلمه أن صلاته لا ترضيه، هناك من يؤلمه أن الله لم يقدر على يديه عملاً صالحًا يجعله يوم القيمة في أعلى علية، هناك من يشعر أنه يعيش لذاته، هذا ما يقلقه، هناك من لا ترضيه عباداته، هناك من لا يرضيه إتفاقه، هناك من يشعر أنه مقصّر، قل لي ما الذي يقلقك؟ ما الذي يحزنك؟ ما الذي يزعجك؟ ما الذي يؤرقك؟ ما الذي يملأ قلباً هماً أقل لك من أنت، هناك هموم مقدسة، الأنبياء والمرسلون والصديقون والأولياء الصالحون وكبار المؤمنين هموهم هداية الخلق، هموهم أن يعم الخير، أن يعم الفضل، أن يعم الهدى في الأرض.

يا أيها الأخوة الكرام... لذلك قال تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٢-١]

صار الطريق واضحًا ، ادعهم إلى الله، وأنتنبي، وأنت رسول، وهذا وحي، وهذا كتاب، وتلك معجزات، ادعهم إلى الله عز وجل..

من معاني قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك :

١ – المؤمن حديثه في أعلى مستوى فهو لا ينطق إلا بالحق :

أيها الأخوة الكرام:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذَرْكَ﴾

[سورة الشرح : ٤-١]

لهذه الآية معنیان: كل إنسان له ذِكْر، إذا جلس ليتكلّم في موضوع يهمه، هناك من يتكلّم عن البيوت، هناك من يتكلّم في التجارات، هناك من يتكلّم عن النساء، هناك من تعنيه شهوته، وهناك من يتكلّم عن الله دائمًا، لا يرى شيئاً أغلى من أن يُذَكِّرَ الناس بالله عز وجل، لا يرى شيئاً أعظم من أن يكون سبباً في هداية الخلق، إن الله يحب معايير الأمور ويكره سفافها ودنيتها.

﴿فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾

[سورة البقرة: ١٥٢]

((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَا لِي ذَكَرْتُهُ فِي مَا لِي خَيْرٌ مِنْهُمْ...))

[لائق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه]

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤]

حديث النبي في أعلى مستوى، إنه في الأفق الأعلى، إذا كان في الأفق الأعلى كان حديثه في أعلى مستوى، فإذا كان الإنسان في الأفق الأسفل كان حديثه في أسفل مستوى. راقب نفسك أيها الأخ الكريم ؛ أنت في جلساتك، في زياراتك، في ندواتك، في ولائمك، في أفرادك، في أتراحك تتكلّم عن ماذا ؟ ما الذي يتمحور حوله الحديث ؟ الدنيا ؟ الأسعار ؟ أسعار العملات ؟ أسعار البيوت ؟ مشكلات المادة ؟ أم يعنيك أن تصل إلى الله ؟ هذا من معنى قوله تعالى:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤]

وكلما ارتقى الإنسان في سُلُّمِ الإيمان يرتفع مستوى حديثه، كلما ارتقى الإنسان في مستوى الإيمان لا ينطق إلا بالحق، بل إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَلْقِ وَحَبِيبُ الْحَقِّ، وصفه الله عز وجل بأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحْيٌ يوحى.

يا رسول الله إنك تغضب فهل نكتب عنك إذا غضبت ؟ فأمسك بلسانه وقال: والذى بعثتى بالحق هذا اللسان لا ينطق إلا بالحق ، هذا شأن المؤمن لا ينطق إلا بالحق، ليس عنده في حياته كلام فارغ، كلام خاسر، غيبة أو نمية، لا يتحدث حديثاً لا جدوى منه. أيها الأخوة الكرام... هذا المعنى الأول من:

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤]

٢ – المؤمن حينما يصطلح مع الله ويخطب وده يرفع الله مكانته في المجتمع :

أما المعنى الثاني فأنت أيها المؤمن حينما تصطلح مع الله، وحينما تخطب وده يرفع الله عز وجل مكانتك في المجتمع، وهذا ميلٌ فطريٌّ، الإنسان فيه دوافع ثلاثة ؛ فيه دافعٌ إلى الطعام والشراب،

حافظاً على الفرد، و دافع إلى الجنس الآخر حفاظاً على النوع، و دافع إلى إثبات الذات حفاظاً على الذِّكْر. فما من طريق سليم واضح سالكِ لتكون في أعلى مكان إلا إن كنت مع الله، كن مع الله تر الله معك، إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟.

أيها الأخوة الكرام:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤-١]

وكل مؤمن له من هذه الآية نصيب، من دون استثناء، لك نصيب منها يرفع الله لك شأنك، بقدر إخلاصك، وبقدر طاعتك، وبقدر عملك الصالح.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤]

هناك من يطلب العلو في الأرض عن طريق المعاشي والآثام، هناك من يطلب العلو في الأرض عن طريق إيقاع الأذى بالناس، والمؤمن بداعي أودعه الله فيه يعلو ذِكْرُه بسبب طاعته لربِّه. امرأة جارية في قصر ملك مصر رأت يوسف عليه السلام عبداً في القصر، ثم رأته عزيز مصر وهو يمشي في موكبه، فقالت: سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعته ، كل مؤمن له نصيب من هذه الآية، إنك إن خطبت ودَّ الله عز وجل، إنك إن بذلت الغالي والرخيص، والنفس والنفيس من أجل أن يرضى الله عز وجل يرفع الله لك ذكرك في الأرض، والذِّكر الحَسَن من أجل العطاءات الإلهية، هناك من إذا ذُكر في مجلسٍ تعطرت المجالس بذكره، وهناك من إذا ذكر بمجلس لعنه كل من في المجلس.

أيها الأخوة الكرام :

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعَنَا عَنْكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾

[سورة الشرح : ٤-١]

أي عسر هو سبب ليسر قادم :

الآن دقوها:

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

[سورة الشرح : ٥]

كلمة: " العسر " جاءت معرفةً قال: هذا تعريف الجنس، أي أي أنواع العُسر في الأرض، لأن تقول: الحديد. وتقصد كل أنواع الحديد من دون استثناء، أَلِ الجنس.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾

أي أنواع العسر ، القليل والكثير ، الصغير والكبير ، المادي والمعنوي ، المؤقت والمستمر ، أي أنواع العسر ؛ ضيق نفسي ، هم ، حزن ، فقر ، قهر ، مرض ، قلق ، أي أنواع العسر ، هذا العُسر معرف بأَلِ ، وهذه أَلِ هي أَلِ الجنس ، أي كل أجناس العسر في الأرض.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

[سورة الشرح : ٥]

اليسير جاءت مُنكرة تتكبر تعظيم، وكان بحسب لغة البشر أن يقول: إن بعد العسر يُسراً. ولكن الله طمأن عباده أن هذا العُسر الذي أنت فيه، فيه أسباب اليُسُر لك، فالله عز وجل يضيق ليُوسِع، ويُخْفِض ليرفع، ويُضْرِب لينفع، ويُقْبِض ليُسْطِي، ويُعْسِر في الدنيا ليُسِّر لك طريق الجنة، هذا العُسر عُسر تربوي، عُسر هادئ، لأن الشر من أجل الشر لا وجود له في الكون، إنه يتناقض مع وجود الله، الشر المُطلَّق يتناقض وجوده مع وجود الله، هذا العُسر الذي أنت فيه ضيق مادي، مشكلة أُسْرِيَّة، قضيَّة في عُملَك، مشكلة في صحتك، هذا عُسر، هذه الكلمة واسعة جداً.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾

هذا العُسر الذي أنت فيه، فيه بذور الرخاء بعد قليل، أصحاب الجنة رأوا جنتهم خاوية على عروشها..

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوَا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرَثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾

[سورة القلم : ٢٠-٢٢]

﴿فَمَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾

[سورة القلم : ٢٦-٢٧]

إلى آخر القصة، ثم..

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقْلُ لَكُمْ لَوْلَا تُسْبِحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾

[سورة القلم : ٢٨-٢٩]

قال تعالى:

﴿كَذَّاكَ الْعَذَابُ﴾

[سورة القلم : ٣٣]

كل عذاب أسوقه لعبادتي في الدنيا من هذا النوع.

﴿وَلَنْذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدَمَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة السجدة : ٢١]

فما أنت فيه من عُسْرٍ هو سبب اليُسُر القادم، بل إن اليُسُر معه وليس بعده.

بعد الشدة فرج و بعد الضيق انفراج :

أيها الأخوة... الكلمة المعرفة "بأـل" إذا كررت أعطت معنى واحداً، أما الكلمة إذا كانت مُنكرة وكررت فيختلف معناها، والدليل:

(اللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفتر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه))

[أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه]

هذه الفرحة غير هذه الفرحة. فقال العلماء: إن مع العُسر الذي يستغرق كل أنواع العُسر في الدنيا يسراً في الدنيا، إن مع العُسر يسراً في الآخرة، فأنت أمام يُسْرَين لعُسْرٍ واحد، وقد ورد عن

النبي صلى الله عليه وسلم المعنیان، فقال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه بعضهم عنه: " لن يغلب عسرٌ يسرين يسرٌ في الدنيا ويسرٌ في الآخرة " أي أنَّ بعد هذه الشدة هناك فرج، بعد هذا الضيق هناك انفراج، بعد الفقر هناك غنى، بعد المرض هناك صحة، بعد الفهر هناك عز، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في بعض خطبه:

((يا أيها الناس إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ودار ترح لا دار فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشدة، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ويبتلى ليجزي))

[كنز العمال عن ابن عمر]

شرح لمعاني فإذا فراغت فانتصب :

ثم يقول تعالى :

﴿فِإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾

[سورة الشرح : ٧]

قال علماء التفسير: لهذه الآية معنيٍ يأخذ به أصحاب الهمم العلية، ومعنىٍ يأخذ به الناجون، هناك أصحاب اليمين، وهناك السابقون السابقون.

المعنى الأول: يأخذ به السابقون السابقون، إذا فراغت من عملٍ فانتصب إلى عملٍ آخر، إذا فراغت من عملٍ صالحٍ فانتصب إلى ذكرٍ، لأنك بالذكرِ تُشَحَّن شحنةً روحيةً تعينك على عملٍ صالحٍ آخر، كما كان عليه الصلاة والسلام طوال النهار في جهادٍ وبذلٍ وعطاءٍ ودعوةٍ، وفي الليل يصلِّي قيام الليل حتى تتورم قدماه، تقول له السيدة عائشة رضي الله عنها: ألم يغفر لك يا رسول الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فيقول:

((... أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا))

[متفق عليه عن عائشة]

فالمؤمن الصادق لا يمل من العمل الصالح، من عملٍ إلى صلاةٍ، إلى دعوةٍ، إلى ذكرٍ، إلى طلب علمٍ، إلى خدمة أخي، إلى تفريج كربٍ، إلى تفريج عسرٍ، هكذا وهب روحه..
 ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايِ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾

[سورة الأنعام : ١٦٢-١٦٣]

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فِإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾

[سورة الشرح : ٦-٧]

﴿فَانْصَبْ﴾

من عملٍ ،

إلى ذكرٍ، إذا فراغت من ذكرٍ

﴿فَانصِب﴾

إلى عملٍ، إذا فرغت من صلاةٍ

﴿فَانصِب﴾

إلى عملٍ صالحٍ.

والمعنى الثاني الذي يسع عامة الناس: إذا فرغت من زواج التفت إلى الله التفاتاً كافياً يعوض ما قصرت، إذا فرغت من تأسيس عملٍ، فأنت في أثناء تأسيس العمل تقوم بالحد الأدنى من الفرائض، أما إذا انتهيت من تأسيس هذا العمل فابحث عن النوافل، لك حد أدنى، لن تضيّع أي فرضٍ إلهيٍ فرضه عليك، ولك حد أقصى؛ حينما تكون فارغ البال، ليس عندك مشكلة لا في الأسرة ولا في العمل خذ الحد الأعلى.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

[سورة الشرح : ٨-٧]

كن راغباً في الله عز وجل، هو الأول والآخر والظاهر والباطن.

أيها الأخوة الكرام... هذه السورة الكريمة على قصرها فيها معاني جليلة:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنْكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾

[سورة الشرح : ٨-١]

أيها الأخوة الكرام... حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنأخذ حزنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع هواه وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عـبـدـهـ وـرـسـوـلـهـ، صـاحـبـ الـخـلـقـ العـظـيمـ، اللـهـمـ صـلـ وـسـلـ وـبـارـكـ عـلـىـ سـيـدـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ أـجـمـعـينـ.

اللبن آية من آيات الله الدالة على عظمته :

أيها الأخوة الكرام... موضوع دقيق جداً سوف أعرضه عليكم، مع أنه موضوع قريبٌ منكم قرباً شديداً، حينما يقول الله عز وجل محدثاً عن هذا اللبن السائغ الذي يخرجه الله من بين فرشِ ودمِ لبناً خالصاً للشاربين، هذه آية ذكرنا الله بها، هذا اللبن السائغ طعامه يحتوي على الدسم، والسكريات، والبروتينات، والمعادن، والفيتامينات، ويحتوي على غازاتٍ مُنْحلَّة، هو غذاءً كاملًّا فيه كل حاجات الإنسان، وكان عليه الصلاة والسلام إذا شرب الحليب يقول: "اللهم زدنا منه" والآية الدقيقة:

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾

[سورة النحل : ٦٦]

العلماء قالوا أيها الأخوة إن في البقرة غدة ثديية، هذه الغدة الثديية مقسمة إلى فصوص، وهذه الفصوص مقسمة إلى فصيفصات، وهذه الفصيفصات مقسمة إلى أجوف صغيرة هي الأسناخ، وهذه الأسناخ محاطة بغشاء من الخلايا، حول هذه الخلايا شعريات دموية، تأخذ الخلايا من الدم ما تحتاج، وتفرز الحليب في جوف هذا التجويف، وينتهي هذا الجوف بقناة إلى حوض الغدة، ثم إلى حوض ثديي البقرة، ثم إلى حلمتها، حتى هذه الساعة لا تعرف طبيعة عمل هذه الخلايا الثديية، محاطة بأوعية شعرية دموية دقيقة على شكل قبة، ومجوفة من الداخل، فهذه الخلية الصماء، الخلية الثديية تأخذ حاجتها من الدم، وفي الدم حمض اللبن وهو الفرج السائل، هناك فرج صلب هو البراز، وهناك فرج سائل هو حمض اللبن ، وهناك فرج غازي هو غاز الفحم الذي يلفظه الإنسان من فمه، هذه ثلاثة أصناف. فالخلية الثديية تأخذ حاجتها من الدم الذي فيه فرج سائل، وتكون حليباً نقياً طاهراً سائغاً للشاربين، هو غذاء أساسى جداً في حياتنا.

أيها الأخوة الكرام... الذي يحير العقول أن أربعون حجم من الدم يجول في هذه الغدة الثديية من أجل حجم واحد من الحليب، كل لتر حليب تصنع البقرة في غدها الثديية مُحَصَّلة أربعون لتر من الدم يجول حول هذه الغدة الثديية، والذي يدهش أنه حتى الآن لا يعرف أحد كيف تعمل هذه الخلية؟ وفيها من العقل ما لا يوصف، تقدم لك غذاء كاملاً يتاسب مع أجهزتك وأعضائك ونسجك وخلاياك، وهي تختار ما تحتاج من معادن وفيتامينات ومواد دسمة وسكريات من الدم الذي فيه فرج.

أيها الأخوة الكرام... من يعطي الأوامر؟ من ينظم؟ من ينسق؟ من يعطي هذه الخلية أمراً بأخذ البوتاسي والفسفور والكالسيوم والفيتامينات والمعادن وأشباه المعادن والغازات والسكريات والمواد الدسمة؟ كيف تختلط هذه المواد؟ وكيف تُمزج حتى تصبح حليباً ناصع البياض خالصاً من كل شائبة لا أثر للدم فيه ولا أثر للفرج فيه؟ هذه يد الله تعمل في الخفاء.

أيها الأخوة الكرام... هذا موضوع من موضوعات التفكير، هذا موضوع من موضوعات وسائل معرفة الله عز وجل، إليكم الآيات القرآنية في هذا الموضوع.

تنليل البقرة للإنسان معجزة علينا التفكير بها لنزيد تعظيمنا لله :

أيها الأخوة الكرام... يقول الله عز وجل:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِيهِنَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلِّلْنَاهَا لَهُمْ﴾

[سورة يس: ٧٢-٧١]

حينما جنّت البقر في بريطانيا، اضطروا إلى حرق ثلاثة عشر مليون بقرة، ثمنها ثلاثة وثلاثون مليار جنيه إسترليني، بينما جنّ البقر، بينما غيروا خلق الله، بينما أطعموا البقر مسحوق اللحم المُجفَّف.

﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْتُ لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلِكُنَا هَا لَهُمْ﴾

[سورة يس: ٧١-٧٢]

جعلناها مُذلَّلة، طفل صغير يحب ثدي البقرة، طفل صغير يقود بقرةً، فلو توحشت لقتلت العشرات، فالذي ثبت أنه حينما تتوحش بقرةً قد تقتل بضعة أشخاص.

﴿وَذَلِكُنَا هَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

[سورة يس: ٧٢-٧٣]

يا أخوة الإيمان... إذا كان على مائدتك كأس حليب ينبغي أن تذكر هذه الآية، إذا كان على مائدتك كأس حليب أو قطعة جبن أو سمن أو زبدة أو قشطة، أو أي شيء من مشتقات الحليب، يجب أن تذكر أن كل لتر حليب يصنعه أربعون لتر من الدم، وأن عمل هذه الخلية معجزة بحد ذاتها، وقد ورد في الأثر: "حسبكم الكون معجزة" الكون بوضعه الراهن كله معجزات، تأكل هذه البقرة حشيشاً وتعطيك الحليب سائغ الطعم من دون صوتٍ، ولا ضجيج، ولا جلبة، وقد جعل الله هذا العمل اقتصادياً فهي تعطي أكثر مما تأخذ، ولو كان العكس لما ربي أحد بقرة، تعطي أكثر ما تأخذ، وهي مذللة..

﴿وَذَلِكُنَا هَا لَهُمْ﴾

[سورة يس: ٧٢]

خصيصاً لكم..

﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

[سورة يس: ٧٢-٧٣]

أيها الأخوة الكرام.. لأن الله عز وجل يقول:

﴿فَيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾

[سورة عبس: ٢٤]

إلى طعامه الذي يأكله، كلما أكلت قطعة جبن، أو احتسيت كأس حليب، أو أكلت لبناً مع أكلتك المفضلة، أو أكلت زبدة أو قشطة، أو ما سوى ذلك، يجب أن تعلم أن هذا من صنع الله تفضلاً ومنه علينا، ينبغي أن تشكره، فكلما ازدلت تفكراً في آيات الله ازدلت تعظيمها له. آية ثانية:

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِرْةً نُسْقِيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾

[سورة المؤمنون : ٦٦]

الآية الأولى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلْتُمْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلِكَنَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾

[سورة بيس: ٧١-٧٣]

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت،
وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك، وإنه لا يذل من واليت،
ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك.
اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر
 علينا، أرضنا وارض عنا. أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها
 معاشرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت
 راحةً لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحالك عن حرامك، وبطاعتك عن
 معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمننا مكرك، ولا تهلك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا
 رب العالمين، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تؤاخذنا ب فعل
 المسيئين يا رب العالمين. اسق عبادك العطشى يا رب العالمين، اسقنا سقيا رحمة ولا تجعلها سقيا
 عذاب يا أكرم الأكرمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز
 المسلمين، وخذ بيده ولاتهم إلى ما تحب وترضى إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين